

القِسْمُ الرَّابِعُ: سِرُّ الْمَلَكُوتِ

لقد بَشَّرَ يوحنا المعمدان بالملكوت (متى ٣: ٢)، وبعدهما تعمَّد يسوع أخذ يُنادي مُبَشِّرًا بالملكوت (٤: ١٧) وقد عَلَّمنا يسوع في عِظَةِ الجبل أن نُصَلِّي ونقول: «لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ». فَبَعْدَ أن عَلَّمَ يسوع بالأقوال حَوْلَ سِرِّ الْمَلَكُوتِ (متى ٥ - ٧) أَظْهَرَهُ بِالْأَفْعَالِ وَالْآيَاتِ (متى ٨ - ٩)، ثُمَّ أَرْسَلَ تلاميذه مُوصِيًا إِيَّاهُمْ بأن يَقُولُوا فِي الطَّرِيقِ «لقد اقْتَرَبَ الْمَلَكُوتُ» (١٠: ٧).

فَمَا هُوَ الْمَلَكُوتُ؟ فِي الْقِسْمِ التَّالِي مِنْ إِنْجِيلِ مَتَّى (١١ - ١٣)، يَكشِفُ يسوعُ لِتلاميذه عَنْ سِرِّ الْمَلَكُوتِ. فَيَعَلِّمُ عَنْهُ بِالْأَمْثَالِ (متى ١٣)، وَيُشَبِّهُهُ بِحَبَّةِ الْخَرْدَلِ وَالْحَمِيرَةِ وَالْكَنْزِ وَاللُّؤْلُؤَةِ وَالشَّبَكَةِ. وَفِي كُلِّ مَثَلٍ نَأْخُذُ مِنْهُ عِبْرَةً لِحَيَاتِنَا: فِي مَثَلِ الزَّارِعِ (متى ١٣: ٣-٨) نَتَعَلَّمُ أن نَكُونَ أَرْضًا طَيِّبَةً تَحْفَظُ كَلِمَةَ اللَّهِ وَتُنَمِّيها وَتَعْمَلُ بِهَا غَيْرَ مُكْتَرِثِينَ لِهَمُومِ الْعَالَمِ. فِي مَثَلِ الشَّبَكَةِ (متى ١٣: ٤٧-٥٠) نَتَعَلَّمُ أن فِي الْكَنِيسَةِ أَنْاسًا شَرِيرِينَ وَأَخْرَيْنَ صَالِحِينَ، فَالْجَمِيعُ سَيُذَانُونَ فِي النِّهَايَةِ. وَهُنَاكَ أَمْثَالٌ أُخْرَى مُبَعَثَةٌ فِي كُلِّ الْإِنْجِيلِ: ففِي مَثَلِ السَّامِرِيِّ الصَّالِحِ (لو ١٠: ٢٩-٣٧) الَّذِي اعْتَنَى بِعَدُوِّهِ الْيَهُودِيِّ، نَتَعَلَّمُ أن نَتَعَامَلَ بِالرَّحْمَةِ وَنُحِبَّ أَعْدَاءَنَا. وَفِي مَثَلِ الْابْنِ الضَّالِّ (لو ١٥: ١١-٣٢) نَتَعَلَّمُ أن اللَّهَ يَغْفِرُ لَنَا عِنْدَمَا نَبْتَعِدُ عَنْهُ، مَهْمَا كَانَتْ خَطِيئَتُنَا، شَرَطَ التَّوْبَةِ.

يَقُولُ التَّعْلِيمُ الْمَسِيحِيُّ لِلْكَنِيسَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ حَوْلَ الْمَلَكُوتِ مَا يَلِي: «إِنَّ مَلَكُوتَ اللَّهِ سَابِقٌ لَنَا؛ اقْتَرَبَ فِي الْكَلِمَةِ الْمُتَجَسَّدِ، أُعْلِنَ فِي الْإِنْجِيلِ كُلِّهِ، أَتَى فِي مَوْتِ يسوعِ وَقِيَامَتِهِ، إِنَّهُ الْآنَ فِي وَسْطِنَا، وَسَيَأْتِي الْمَلَكُوتُ فِي الْمَجْدِ عِنْدَمَا يُعِيدُهُ الْمَسِيحُ إِلَى أَبِيهِ... فَعَلَى الْمَسِيحِيِّينَ أن يُدْرِكُوا بِحَسَبِ الرُّوحِ فَيُمَيِّزُوا نُمُوَّ مَلَكُوتِ اللَّهِ مِنْ تَقَدُّمِ الثَّقَافَةِ وَالْمُجْتَمَعِ حَيْثُ يُقِيمُونَ. وَهَذَا التَّمْيِيزُ لَيْسَ فَصْلًا، لِأَنَّ دَعْوَةَ الْإِنْسَانِ إِلَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ لَا تُلْغِي بَلْ تُشَدِّدُ وَاجِبُهُ أن يُبَارَسَ فَعْلِيًّا مَا تَقَبَّلَ مِنَ الْخَالِقِ مِنْ طَاقَاتٍ وَوَسَائِلٍ فِي سَبِيلِ خِدْمَةِ الْعَدَالَةِ وَالسَّلَامِ فِي هَذَا الْعَالَمِ» (الأعداد ٢٨١٦-٢٨٢١).

لن نَتَحَدَّثَ كَثِيرًا فِي هَذَا الْقِسْمِ الرَّابِعِ عَنِ الْأَحْدَاثِ (متى ١١ - ١٢) السَّابِقَةِ لِعِظَةِ الْأَمْثَالِ (متى ١٣). سَنَكْتَفِي بِحَدِيثَيْنِ يُجْبِرَانِ كَيْفَ أن بَعْضَ أَهَالِي مُدُنِ كُورِزِينَ بَيْتِ صَيْدَا وَكَفَرْنَاهُومِ لَمْ يَتُوبُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِالرَّغْمِ مِنْ آيَاتِ يسوعِ الْكَثِيرَةِ فِي وَسْطِهِمْ (متى ١١: ٢٠-٢٤)، وَبِحَدِيثِ صَلَاةِ الشُّكْرِ الَّتِي رَفَعَهَا يسوعُ لِأَبِيهِ السَّمَاوِيِّ دَاعِيًا فِيهَا جَمِيعَ الْمُتَعَبِّينَ لِلتَّلْمِذَةِ لَهُ (متى ١١: ٢٥-٣٠). هُنَا نَسْتَشْفُ أن الْمَلَكُوتَ هُوَ بِالْفِعْلِ سِرٌّ، لَا نَفْهَمُ لِمَاذَا يَقْبَلُهُ الْبَعْضُ فَيَتُوبُونَ، وَلِمَاذَا يَرْفُضُهُ الْآخَرُونَ. أَمَا فِي عِظَةِ الْأَمْثَالِ (متى ١٣) فَنَكْتَفِي بِشَرْحِ مَثَلِ الزَّارِعِ عَلَى أن نُورِدَ مَثَلَيْنِ أَسَاسِيَيْنِ آخَرَيْنِ مِنْ إِنْجِيلِ لُوقَا، مَثَلِ الْابْنِ الضَّالِّ وَمَثَلِ السَّامِرِيِّ الصَّالِحِ، لِأَنَّهَا طَبَعًا حَيَاةَ الْمَسِيحِيِّينَ عَلَى مَدَى أَلْفِي

سنة، بالرغم من عدم وجودهما في إنجيل متى، الذي عُرف بالقرنين الأولين بإنجيل الموعوظين. ونتمنى على جميع طلاب العباد قراءة الإنجيل كاملاً وألاً ينأوا بنفسهم عن سؤال موجهيهم حول التساؤلات التي قد تدور في فكرهم.

نأمل أن نوضح في هذا القسم جزءاً من «سِرِّ الملكوت»، على أن تبقى العبرة، لا في المعرفة الفكرية والنظرية فقط، إنما خاصةً بالعيش والتطبيق.

